كانت عبارة الترجمة الذاتية موهمة إلى حد ما . يقال إن لكتاب الأيام تاريخا لم ينشر . قال الدكتور زكى مبارك : « فى مطلع الربيع من سنة ١٩٢٦ ثار الأزهريون ، وتبعهم فريق من النواب ، على الدكتور طه حسين ، واشتدت الثورة ثم اشتدت ، حتى كادت تزلزل مكانه فى الجامعة المصرية » .

قال الدكتور طه يوما إن الله يغفر للذين يعملون السوء بجهالة . كل هذا قد يكون جزءا من التاريخ . ولكن التاريخ شىء وكتاب الأيام شىء آخر . ليس كتاب الأيام مجرد ملاذ ، وليس عزاء ، ولا سلوى ، ولا هربا من مكاره الذكريات . هذا ما أردت أن أقرره .

كتاب الأيام تعبير عجيب عن محاولة المعرفة . المعرفة مغامرة . يجب ألا يقرأ كتاب الأيام من حيث هو صورة طفولة خاصة . إن الذى كتب الأيام ليس هو طه الطفل . ولكننا ننسى . كاتب الأيام لا يستطيع أن يمحو حاضره ، وشواغله ، وهموم ثقافته ، وهموم ثقافة المجتمع ، ولكننا كثيرا ما نلقى هذا جانبا . دعنى أذكرك قبل أن أقف على بعض الأمثلة . قص الدكتور طه قصته يوم بدا له أن ينقل اللقمة إلى فيه بيدين اثنتين ، وكيف ضحك إخوته وبكت أمه ، وانزعج أبوه . معظم القراء يتصورون هذا كله نوعا من التفريغ العاجل أو نوعا من البوح الصريح الذى يريح . أظن أن القراءة لا تفيد من هذه الطريقة .

أولى بنا أن ندير الجدل بين النظام والتجربة . هل قال الدكتور طه فى لهجة ساذجة محبوبة لا مراء فيها ولا خصام . هلم بنا نقدر الرغبة فى مغامرة المعرفة . هلم بنا نقدر التجربة . فإن أخطأنا فليغفر بعضنا لبعض ، إن الدكتور طه الرجل الباحث الناضج ينقد نفسه من باب خفى جدا . كأنه يقول مثلى كمثل طفل يتعجل الطعام ، يتعجل المعرفة ، يريد أن يُعلّم شيئا كثيرا فى وقت قليل . أنا لا أنكر طابع الأسى العنيف الذى يخطر بعقل القارىء . ولكن لماذا ينكر المجتمع بعض ما يقول الدكتور طه هذا الإنكار العنيف أيضا . أما كان الأجدر بالمجتمع أن يعامله ويعلمه كما عامله أبوه أو علّمه .

ما أروع التلاقى الذى عقده الدكتور طه بين صخب المجتمع وخصامه اليوم وضحك إخوته عليه بالأمس . ولكن ما يضحك الأطفال يبكى الأم ، ويثير عاطفة الأب المعلم الهادىء المحزون . استجابات متفاوتة لحادث واحد . هذا أعمق ما يمكن أن يوجه من نقد لبعض استجابات المجتمع من ريادة التثقيف .